✸ سورة النصر

1) اسمها:

تسمى "سورة النصر"، ويسميها بعض العلماء "إذا جاء نصر الله"، وبعضهم يسميها "سورة الفتح"، وتسمى أيضًا في بعض كتب التفسير سورة "التوديع"، لأن النبي ﷺ قد ودَّع فيها أصحابه، فلما قرأها عرف بعض الصحابة أنها أجل رسول الله ﷺ.

2) أين نزلت؟

هذه السورة جاءت بلا شك بعد فتح مكة ، "فهي سورة مدنية"

أكثر العلماء على أنها آخر سورة نزلت من القرآن، وهذا رأي ابن عباس وابن عمر -رضي الله تعالى عنهم - .

فإن قيل: أليس آخر شيء نزل من القرآن ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

قلنا: نعم، تلك آخر آية، وهذه آخر سورة نزلت كاملة من القرآن الكريم هي سورة النصر.

✸ تفسير الآيات

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾:

يعني إذا جاءك يا محمد نصر الله، النصر الذي نزل من عند الله عليك، التوفيق الذي وُفِّقت به بأن تغلَّبتَ على أعدائك.

وَالْفَتْحُ:أي فتح مكة، وهذه كما قال ابن كثير: قولًا واحدًا، يعني الفتح المقصود به فتح مكة.

وسمي فتحًا لأن الله -عز وجل- فتح به بلاد العرب كلها، فلما فُتحت مكة تذللت جزيرة العرب كلها لرسول الله ﷺ.

والفتح وقع في عام ثمانية، وفي العام التاسع كان عام الوفود، وهو العام الذي وفد فيه العرب على رسول الله ﷺ من أجل أن يدخلوا في الإسلام ويُذعنوا لطاعة رسول الله ﷺ.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾:

أي إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا كما حصل في عام الوفود حيث جاءت وفود العرب مُسَلِّمةً ومُسلِمة تبايع رسول الله ﷺ على الإسلام والسمع والطاعة.

أَفْوَاجًا: يعني جماعات إثر جماعات.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾

أي سبح ربك.

فَسَبِّحْ:أي نزِّه، لأن التسبيح بمعنى التنزيه.

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ: الباء هنا يقول العلماء للمصاحبة، يعني سبِّح تسبيحًا مصحوبًا بحمد ربك، وهذا أفضل أنواع التسبيح، أن يكون التسبيح مصحوبًا بالحمد، لأن التسبيح إذا كان وحده فهو تنزيه، فإذا كان معه الحمد كان معه الثناء، فكأنك تقول: أنزِّهك يا الله تنزيهًا، وأنا في ذات الوقت أثني عليك الثناء كله، وأمدحك المدح كله، وأعترف لك بصفات الكمال ونعوت الجلال، وهذا أكمل ما يكون من الثناء والمدح، أن تخليه من العيوب والنقائص ثم تحليه بصفات المدح ونعوت الجمال والجلال والكمال.

بِحَمْدِ رَبِّكَ :الحمد هو: ذكر المحمود بصفات الكمال مع المحبة والتعظيم.

فلابد من هذين الأمرين: محبة، وتعظيم.لأنه إن خلا من المحبة والعظيم سُمِّيَ مدحًا، مثل أن تمدح جدارًا فتقول: جدار قوي.

- والحمد يختلف عن الشكر بأن الحمد يكون في اللسان، أما الشكر فإنه يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح كما قال الله -عز وجل: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ

شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾:

أي اطلب عفوه ومغفرته، واطلب ستره عن ذنوبك، لأن الاستغفار يجمع معنيين: (طلب الستر، والتجاوز)

فإذا ستغفرت الله -سبحانه وتعالى- ينبغي لك أن تستحضر هذين المعنيين: (أن يستر الله عليك ولا يفضحك بشيء مما بدر منك ، وأن يتجاوز عن الذنب فلا يؤاخذك به)

وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا: يعني إذا استغفرته وأنت صادق في استغفارك فإن الله يقابلك بأن يتوب عليك، كلما استغفرت تب، فهو توَّاب كثير التوبة على عباده، بل إنه -سبحانه وتعالى-" يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يديه بالنهار ليتوب مسيء الليل"، "ويفرح بتوبة عبده أشد من فرح أحدنا كان على ناقته ثم أضلها، حتى إذا أيس منها وأيقن بالموت نام، ثم قام فوجدها مربوطة عند رأسه، فقال من شدة ما أصابه من الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك". فالله أفرح بتوبة عبده من هذا بناقته التي عليها طعامه وشرابه.

➢ كيف تكون هذه السورة في نعي الرسول الله ﷺ ؟

هذه السورة قال فيها عمر وابن عباس وبعض الصحابة: "إنها كانت نعي رسول الله"، يعني علامة على موت رسول الله ﷺ، وأخذوا ذلك من المعنى، يعني أنت قد فتح الله عليك وجاءك نصر الله ودخل الناس في دين الله؛ عليك أن تسبح وأن تستغفر، فهذه رسالة مبطَّنة؛ إذن استعد للقاء الله، فقد تحقق ما أرسلت من أجله وما ارسلت به، أيضًا أكثر من الاستغفار والتسبيح والحمد، فهذا دلالة على أنك الآن تستعد للقاء الله -عز وجل.

➢ ولذلك عمر اختبر فهوم بعض الصحابة بها.

فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾؟ .

فقالوا: أمر الله نبيه إذا جاءه نصر الله، وفتح الله عليه، ودخل الناس في دين الله؛ أن يسبح وأن يستغفر .

فقال: "ليس الأمر كما تقولون" ، وليس معنى هذا أن عمر يُنكر عليهم أن هذا معنى السورة، ولكنه يقول: ما الجديد فيما تقولون؟ هذا ظاهر من ألفاظ الآية، أنا أريد المعنى الذي في جوف هذه الآيات.

ثم قال لابن عباس: "ما تقول فيها يا ابن عم رسول الله؟".

قال: "هذه أجل رسول الله"، قال: "ما أعلم منها إلا ما تعلم".

فدلَّ ذلك على أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان يفهم منها وجملة من الصحابة أن هذه السورة كانت علامة على قرب أجل رسول الله ﷺ

➢ وهذه القصة تدلنا على أن تدبر القرآن نوعان:

النوع الأول: نوع يفهمه كل أحد، ويصل إليه كل إنسان من ظاهر الألفاظ.

النوع الثاني: نوع لا يصل إليه إلا العلماء الراسخون الغوَّاصون على المعاني. وهذا لا يحصل الإنسان عليه إلا بطول ممارسة وبدقة في العلم، وقوة في الفهم

✹ سورة المسد.

1) اسمها:

تسمَّى "سورة المسد"، وتسمى "سورة أبي لهب"، وتسمى "سورة تبَّت يدا أبي لهب"، لكن أشهرها: سورة المسد.

2) أين نزلت؟

سورة مكية باتفاق العلماء

3) عدد آياتها:

خمس آيات ولم يختلف فيها العادُّون.

4) سبب نزولها:

أن النبي ﷺ صعد على جبل بمكة -إما الصفا أو غيره- فنادى في الناس فاجمعوا، فقال: ﴿أرأيتم لو أخبرتكم بخيل خلف هذا الجبل؛ أكنتم مصدقيّ؟﴾ ، قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبًا ، فقال: ﴿أما إني رسول لكم من الله بين يدي عذاب شديد﴾.

فقام عمه أبو لهب واسمه عبد العزَّى، وكُنِّيَ بأبي لهبٍ لُحمرةٍ في وجهه كأنها اللهب من شدة الحمرة، فقال لرسول الله ﷺ: تبًّا لك، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله -عز وجل- هذه السورة ليرد عليه وليبشره بنارٍ ذات لهب.

فكانت هذه السورة معجزة لرسول الله، ومعجزة لهذا القرآن، لأن إعجاز القرآن يكون بألفاظه ومعانيه، ويكون بتشريعاته، ويكون بما فيه من الأسرار والعلوم، ويكون أيضًا بما فيه من المغيبات، فإذا قال الله عن شخصٍ: أنت ستكون في النار، ومات على الكفر؛ دلَّ ذلك على أن هذا القرآن من عند الله الذي يعلم الغيب ويعلم خفايا الأمور، لأنه لا يمكن أن يقوم أبو لهب بعد هذه السورة ويقول: يا محمد أنا أسلمت، أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، سيحصل بذلك أن هذه السورة ستبطل. فمات أبو لهب ولم يشهد الشهادتين.

وهذا ما يسميه بعض العلماء: الإعجاز الغيبي.

مثال: قول الله -عز وجل- في حق اليهود: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: 95]، لن يتمنوا الموت، ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾ [الجمعة 6، 7]، ولم يُعرف أن واحدًا من اليهود الذين عاشوا في عهد رسول الله ﷺ قام وقال: أنا أتمنى الموت يا محمد ، مع أن الله قال: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾ ، لعلمه أنهم على الباطل، وبأن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من عند رسول الله ﷺ وأن محمدًا رسول من عند الله حقًّا.

✸ تفسير الآيات:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾:

تَبَّتْ : دعاء بالتَّباب، والتَّباب هوالخسار والهلاك.

تَبَّتْ يَدَا: ليس المقصود أن الخسارة لليدين، ولكنه خسار للإنسان كله، لأن يدا الإنسان تعبير عنه، ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: 30]، ولعله إنما أشار إلى اليدين لأن الإنسان عادة إذا أراد أن يسبَّ أويدعو أو يشتم أشار بيده، فلعل أبا لهبٍ عندما كان أمام رسول الله ﷺ قال: تبًّا لك، ألهذا جمعتنا؟ مشيرا بيده لرسول الله ﷺ

➢ ما الفرق بين "تبَّت"، و"تبَّ"؟

"تبَّت" دعاء عليه بأن يُهلك الله يديه ويهلكه، و"تبَّ" خبر بأنه هلك، و﴿تَبَّ﴾ أي قد هلك.

﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾:

أي لم يُغنِ عنه ماله الذي كان عنده وكان يفخر به ويستكبر به على العباد؛ بل قد يكون المال سببًا في صدِّ الإنسان عن الإيمان ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾

وَمَا كَسَبَ: أي وما ولد، لأن ولد الإنسان من كسبه، فهو يقول: "ما أغنى عنه ماله وما أغنى عنه ولده".

﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾

سَيَصْلَى: أي سيدخل نارًا ويُقاسي حرَّها، لأن الصَّلْي يأتي بمعنى الدخول و ياتي بمعنى الشيِّ والإحراق، فهو سيُدخل نارًا ويُحرق بها.

نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ: نكَّر النار هنا ليبيِّن فخامتها وعظمها، كما يقول: ﴿سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[النساء: 162]، أي أجرًا كبيرًا هائلًا عظيمًا، يؤكد عظمة

ذلك الأجر المنكَّر بقوله ﴿عَظِيمًا﴾.

نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ: وصف هذه النار بأنها ذات لهب ، ونلاحظ أنه اشتقَ العذاب من كنية أبي لهب، أي ذات لهب تتلهب عليه وتصلاه وتصليه بحرها، وتحرقه إحراقًا بسوء عذابها.

﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾

وَامْرَأَتُهُ: سيصلى هو وامرأته ، فقوله ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ معطوف على الضمير في قوله ﴿سَيَصْلَى﴾.

إذن امرأته ستكون معه، وهذا فيه الدلالة على أن مَن أعان ضالًّا على ضلاله أنه سيكون معه في العذاب.

- فامرأة أبي لهب وهي أم جميل كانت تعين زوجها على هذا الباطل وعلى هذا التكذيب؛ بل كانت تتبرع بأن تؤذي رسول الله ﷺ، حتى من هذا النوع السخيف الذي يدل على الخواء وعلى عدم وجود الدليل والسلطان والحجة، فكانت تجمع الشوك والحطب فتلقيه في طريق رسول الله ﷺ حتى تعبِّر عن مدى بغضها لرسول الله وعن أي شيء تقدمه لإيذاء رسول الله ﷺ.

حَمَّالَةَ: منصوبة بالاختصاص، أي أخصُّ أو أذمُّ حَمَّالة الحطب، لأنها كانت تحمل الحطب والشوك فتلقيه في طريق رسول الله ﷺ.

قال بعض العلماء: إن حمالة الحطب أنها كانت تسعى بالنميمة، وهذا تفسير بالمعنى يُخالف الظاهر، فالظاهر أن حمل الحطب يُحمل على ما يظهر من هذه الكلمة، ونحن دائمًا في التفسير ، وهذه قاعدة: نفسر بالأشهر الأظهر المعروف من كلام العرب دون القليل والنادر والأنكر من كلامهم.

ثم جعل لها وعيدًا خاصًّا ، وهذا الوعيد حقيقة يدلنا على أن الإنسان لا يُعذر بكونه كان تابعًا، ولا بكونه كان قد سُيطِرَ عليه من قِبَل زوج أو أمير، أو دولة، أو جهة إعلامية، أنت قد جعل الله لك إرادة، جعل لك عقل، وبيَّن لك طريق الحق وطريق الضلال، فأنت مسؤول عن تصرفاتك، ولا يحق لك ولا يليق بك أن تحتجّ بأن أحدًا ما قد سبقك إلى هذا أو حملك على هذا ، أنت مسؤول، وستحاسب عند الله -سبحانه وتعالى، فقال في هذا الوعيد:

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾

فِي جِيدِهَا: أي في عنقها.

حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ: اختلف العلماء في قوله ﴿مَسَدٍ﴾.

منهم من قال: حبل من ليف أي من الشجر، والظاهر أن هذا الشجر ليف، لأنه هو الحبل الذي يكون خشنًا إذا مرَّ على الجلد مزَّقه واحدث فيه خدوشًا.

منهم من قال: حبلٌ من حديد، لأن المسد يُطلق في اللغة على الحديد، حتى قال بعض المفسرين: هي البكرة التي تكون في الدلو، وغالبًا تكون من الحديد.

✹ سورة الإخلاص.

الفرق بين سورة الإخلاص الأولى وهي سورة الكافرون وبين سورة الصمد: هو أن سورة الإخلاص الأولى هي في التوحيد العملي.

فأنت تعلن لله -عز وجل-، ولكل أحد أنك لا يمكن أن تعبد ما يعبده المشركون، وأنك لن تعبد إلا الله، وأن عبادة المشركين لا يمكن أن تكون عبادة لله، وأن عبادة الله وحده لا يمكن أن يكون فيها شيء من الشرك.

وفي سورة الإخلاص الثانية نوع ثاني من أنواع التوحيد، وهو توحيد المعرفة والإثبات.

فأنت تعلن علمًا واعتقادًا أن الله واحد في أفعاله، واحد في ذاته، واحد في أسمائه وصفاته، واحد في ربوبيته، واحد في ألوهيته، لا شريك له، لا ندَّ له، لا نظير له، لا مثيل له، لا ولد له، لا صاحبة له -سبحانه وتعالى.

1) اسمها:

تسمى "سورة الصمد"، وتسمى "سورة الإخلاص".

2) فضلها وعظمتها:

- هذه السورة من أجَلِّ سور القرآن وذلك لما فيها من توحيد المعرفة والإثبات؛ بل إن قراءتها كما ثبت في الصحيح تعدل ثلث القرآن.
- والسبب في أنها تعدل ثلث القرآن كما يقول العلماء: أن القران ثلاثة أقسام:

الأول: القصص.

الثاني: أحكام.

الثالث: عقائد وتوحيد.

فهذه السورة قد جمعت التوحيد، فليس فيها شيء آخر غير التوحيد، فمَن آمن بها فكأنما آمن بثلث ما جاء في القرآن، ومَن قرأها كأنما قرأ ثلث القرآن.

فهذه السوة عظيمة، ومن عظمتها أننا أمرنا بقراءتها دبر كل صلاة، وأمرنا بقراءتها عند النوم، وأمرنا بقراءتها في إحدى ركعتي الفجر، وأمرنا بقراءتها في ركعة الوتر، وأمرنا بقراءتها في الصباح وفي المساء، فالمسلم يقرأها في اليوم قرابة ثمان إلى عشر مرَّات يتعبَّد الله -عز وجل- بها؛

بل ورد في بعض الأحاديث وإن كان في أسانيدها مقال: ﴿أن مَن قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له بيتًا في الجنة﴾.

وأحد الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- أمَّره النبي ﷺ على سريَّة فكان يقرأ بهم ما شاء من القرآن، ثم يختم كل ركعة بقراءة قل هو الله أحد.

فاستغرب أصحابه منه وذكروا ذلك لرسول الله، فسأله رسول الله ﷺ، فقال: إني أحبها لأن فيها صفة الرحمن، فقال ﷺ: ﴿إن الله يحبك بحبك إياها﴾.

بل إن رجلًا من الصحابة كان يقوم الليل كله بها ، فكأن أحد الصحابة استغرب ذلك وكأنه تقالَّه ، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال ﷺ: ﴿إنها تعدل ثلث القرآن﴾.

✸ تفسير الآيات:

﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾

قُلْ: الآية أو السورة التي فيها ﴿قُلْ﴾ فيها مزيد عناية وتأكيد واهتمام ، فالله يقول: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم.

ذكر المفسرون: أن هذه السورة جاءت جوابًا لسؤال طرحه المشركون أو اليهود، قالوا: يا محمد انسب لنا ربك. يعني أعطنا نسبه من أين جاء؟ وكيف جاء؟ ، فانزل الله هذه السورة بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾

هُوَ اللهُ أَحَدٌ : أي واحد.

أَحَدٌ: جاءت بهذه الصفة وهي منكَّرة في سياق الإثبات، فما جاءت إلا لله -عز وجل-.

أما إن كانت منكَّرة في سياق النفي أو الشرط أو الاستفهام فإنه تأتي لغير الله -عز وجل-، مثل : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: 6]، ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أو تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: 98].

قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ: أي واحد في أسمائه وصفاته، واحد في ربوبيته، واحد في ملكه، واحد في أفعاله، واحد في ألوهيته، لا شريك له، لا ندَّ له، لا نظير له، لا مثيل له، لا ولد له، لا زوج له، غني عن كل أحد، وكل احد محتاج إليه.

﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾

هذا تأكيد لأحديته.

يقول العلماء: الصمد هو الذي لا جوف له.

وفي رواية: هو الذي لا يخرج منه شيء.

وفي رواية: هو الذي لا يأكل ولا يشرب.

وفي رواية: هو المصمت الذي ليس في داخله جوف.

بمعنى أنه مستغنٍ عن كل احد، وكل أحد محتاج إليه، ولذلك عبَّر عنها جماعة من العلماء بأن قالوا: هو السيِّد الذي بلغ الغاية في السؤدد، الكامل الذي بلغ الغاية في الكمال، الحي الذي بلغ الغاية في الحياة، القيوم الذي بلغ الغاية في القيومية، فيسمى صمدًا.

وهذه المعاني التي ذكرناها كلها من باب اختلاف التنوع، نعم لكل واحد منها معنًى مستقل؛ لكنها تجتمع على معنًى نهائي بحيث تُعدّ اختلافًا في الألفاظ والعبارات ، فكلها تدل على قيُّوميَّة الله، وعلى أنه مستغنٍ عن كل أحد، وأن كل أحد محتاج إليه .

ثم بيَّن ذلك ووضحه بقوله:

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾:

لم يلد أحدًا لأنه ليس بحاجة إلى الوالد، فلا يُنسب إليه بنت ولا ابن ولا غير ذلك.

لَمْ يَلِدْ: وهذا فيه الرد على النصارى الذين يزعمون أن المسيح هو الله.

وَلَمْ يُولَدْ: أي لم يتولد من شيء قبله، فهو -سبحانه وتعالى- الكامل الصمد المستغني عن كل أحد وكل أحد محتاج إليه وقائم به.

﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾:

هذه الكلمة في غاية الدلالة على نفي النظير والندِّ والمثيل عن الله -عز وجل-، لأن أصلها لو أردنا أن نركبها تركيبًا في البناء العربي لقلنا: "ولم يكن أحد كفوًا له" ، وعلماء البلاغة عندهم قاعدة يقولون: "تقديم ما حقه التأخير يدل على الحصر".

فهنا قدَّم ﴿لَهُ﴾، ثم قدم ﴿كُفُوًا﴾ على ﴿أَحَدٌ﴾، وهذا من أجل أن يدل على الحصر.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ: سبحانه وتعالى.

كُفُوًا: أي مكافئ، ولا ندّ، ولا نظر.

أَحَدٌ: مهما كان ، ولذلك تعالى الله عن الند والنظير والمثيل والشبيه.

✸ سورة الفلق ، وسورة الناس.

سورة الفلق وسورة الناس تسميان سورتي المعوذتين لأنهما عياذٌ يتعوذ الإنسان به من كل شر، فهما يلتجئ الإنسان بسببهما لله -عز وجل- ليحوط نفسه ويعصمها من كل شر، ولذلك قال النبي ﷺ في بيان فضلهما: ﴿ما تعوذ المتعوذون بمثلهما﴾.

وكان النبي ﷺ يُعوِّذ الحسن والحسين من الجانِّ وعين الإنسان، فلما نزلت المعوذتان؛ أخذ بهما وترك ما سواهما.

➢ هاتان السورتان تقرآن في المساء وفي الصباح وعند النوم، وتقرآن أدبار الصلوات المكتوبة ، وأيضًا في أوقات متفرقة مثل إذا كان الإنسان عنده سحر، أو اكتشف سحرًا؛ فإنه عندما يحل العقد أو يريد أن يفرِّق المعقود المنفوث عليه؛ يقرأ هاتين السورتين.

➢ وقد نزلت هاتان السورتان بعد السحر الذي سحر به لبيد بن الأعصم اليهودي النبي ﷺ، لكن هذا السحر لم يؤثر عليه في جانب الوحي ولا تبليغ الرسالة، وإنما أثر عليه في الجوانب الشخصية، كان يرى أنه يفعل الشيء ولا يفعله ﷺ ، أو يأتي أهله ولم يأتهم، وبقي فيه ستة أشهر، ثم إن الله -سبحانه وتعالى- أنزل هاتين السورتين فقرأهما النبي، وقدأوتيَ له بالسِّحر من المكان الذي أخبر به في الرؤيا، وقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما للآخر: ما بالرجل؟، قال: مطبوب ، قال: مَن طبَّه؟، قال: لبيد بن الأعصم، قال: فيمَ؟ ، قال: في مشطٍ ومشاطة، في جفِّ طلعة ذكرٍ "وهو كم لقاح النخل" تحت راعوفة عند بئر ذروان.

لُفَّ الشعر من رسول الله ﷺ في مشط، ثم وُضع في الكم ، ثم وُضع تحت الصخرة التي يقف عليها مَن ينزل أسفل البئر، في ذلك المكان الخفي، أراد

بذلك أن يخفي مكان سحر النبي ﷺ ، فأُخْبِر، فذهب إليه علي بن أبي طالب فأخرج ذلك السحر، وجاء به رسول الله وقد أنزل الله عليه هاتين السورتين، فأخذ يحل العقد عقدة عقدة وكانت إحدى عشرة عقدة، فحلَّها رسول الله وهو يقرأ هذه الآيات فذهب عنه السحر.

✸ تفسير الآيات:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾

قُلْ: وهذا يدل على العناية والاهتمام.

أَعُوذُ: أي ألتجئ وأعتصم.

بِرَبِّ الْفَلَقِ: لأهل العلم في معناها أقوال:

أكثر السلف: ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أي برب الصبح، قال الله -عز وجل: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ.. ﴾ [الأنعام: 96] ، وهذا أشهر الأقوال

وقال بعضهم: إن الفلق هم الخلق، وهذا القول له معنى، لأن كل خلق الله منفلق، أي ينفلق من شيء آخر، نحن انفلقنا من البويضة أومن الحيوان المنوي، وهكذا هذه النجوم والأفلاك والصخور والأشجار والحبوب والزروع والثمار؛ كلها منفلقة.

وقيل: إنه وادٍ أونفق في جهنم.

وقيل: إنه اسم لجهنم.

➢ ما المناسبة بين الفلق بمعنى الصبح وهذه التعويذة؟

فكأن الإنسان الذي يأخذ بهذه السورة مثل الذي يقبل على الصباح بعد ظلمة الليل، فهو يفرح به، فكذلك هذه السورة إذا أخذت بها كأنك أصبحت بعد ظلمة الخوف والهمِّ والوقوع في البلايا والشرور والمضرات.

ثم جاء بتعويذة عامة:

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾:

أي من شر كل شيء خلقه الله -سبحانه وتعالى-، حتى من نفسك ومن ولدك وأهل بيتك.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾

أي ومن شر الليل إذا دخل، واستعاذ بالليل لأنه تقع فيه كثير من الشرور، ويتخفى فيه كثير من الأشرار.

وقد ورد في الغاسق حديث رواه الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال لعائشة وهو يشير للقمر: ﴿يا عائش استعيذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب﴾، وهذا قد يُشكِل عند بعض الناس، ولا إشكال فيه، لأن القمر هو آية الليل، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: 12]، فالنبي ﷺ أشار إلى آية الليل التي هي أخص من الليل ليُبيِّن أنه يريد بها القمر والليل.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾

أي واستعيذ برب الفلق من شر النفَّاثات في العقد، والنفَّاثات هنَّ السَّواحر، والنَّفث هو النفخ بغير ريق، وإذا كان بريق يسمى تفلًا.

فِي الْعُقَدِ: إذا عقدن السِّحر، فهنَّ يعقدن سحرهنَّ ثم ينفثن عليه ليتمَّ لهنَّ ما يردن.

➢ هل قوله﴿النَّفَّاثَاتِ﴾ يدل على النساء السَّواحر؟

بعض المفسرين: يقول بهذا ، ويرون أن سحر النساء أكثر، وأنه أشد.

ويشمل ذلك سحر الرجال ، إذا دخل فيه سحر النساء فيدخل فيه من باب أولى أو من باب عدم الفارق بين سحر الرجال وسحر النساء.

وبعض العلماء :يقول: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾، أي الأنفس السَّواحر، فالنَّفَّاثات هي الأنفس التي يقع منها السحر، فيشمل الرجال ويشمل النساء.

وإنما نُصَّ على النَّفَّاثات والسحر لأنه شيء خفيّ لا يستشعره كل أحد، ولا يستطيع الإنسان أن يسلم منه، فهو الآن يلجأ إلى الله في دفع هذا الشر عنه.

﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

هذا مستعاذ منه آخر، وهو الحاسد إذا حسد.

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ: أي إذا أمضى الحسد، ولم يقل: "ومن شر الحاسد"، أو : "ومن شر حاسد"، بل جعل الحاسد إذا حسد، لأن النفوس لا تسلم من الحسد، ولكن من الناس مَن يُمضيه، ومن الناس مَن يردُّه بإيمانه بقضاء الله وقدره وحسن تدبيره في عباده.

هذه السورة في الشرور الخارجية التي تحيط بالإنسان ولا قدرة للإنسان عليها، ولذلك كان المستعاذ منه واحدًا "برب الفلق".

- ثم خصَّص لشرٍّ عظيمٍ خطيرٍ مهولٍ وهو شر الشيطان خصَّص له سورة كاملة، وجعل المستعاذ منه ثلاثًا، قال:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾:

جعل المستعاذ منه ثلاثا ، لشدة خطر الشيطان وأنه يلازم الإنسان في الليل والنهار، ومستمر على الكيد والمكر والتزيين والتسويل ما دامت هذه الحياة.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾:

سمي وسواسًا لأنه يوسوس، يُحدِّث النفس بحديث خفي، فهو يسمَّى وسواسًا، فهو دائمًا جاثم على قلب ابن آدم يُحدِّثه ويُزيِّن له الباطل.

الْخَنَّاسِ: وصفه بالخنوس، لأن من وصف الشيطان أنه يخنس عندما يُذكر الله، فهو إذا غفلت وسوس، وإذا ذكرت الله خنس.

﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾:

يعني مهمَّته هي الوسوسة في صدور العباد، يوسوس في صدور الناس.

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾:

المعنى في هذه الآية محتمل

يمكن أن يكون: قوله ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ يحتمل أن يكون من تمام قوله ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾

يعني: " الذي يوسوس من الجنة والناس في صدور الناس"، لأن الذين يوسوسون إمَّا أن يكونوا جنًّا وإما أن يكونوا إنسًا، وهذا يؤيده قول الله -عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: 112].

ويمكن أن يكون المعنى: الذي يوسوس في صدور الناس. مَن هم الناس المُوَسْوَس لهم؟ من الجنة والناس، فيكون داخلًا فيها الجن والإنس، فالشيطان يوسوس لهؤلاء ولهؤلاء ، والجن يسمون إنسًا، وقد ورد في ذلك أحاديث عن النبي ﷺ